عزوب الخاطر فاقطعوا وقفه ما رآه وشغله الشاهد به عما سواه **وروينا** عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وكان له
صلى الله عليه وسلم في كل آية تفهم ومن كل كلمة علم فينبغي أن يكون قلب التالي حين
يوصف كل كلمة يتلو المعنى بها إلى أن يفتح الله عز وجل له من المزيد عليها فيجاوز بفهم
ومع ما يفهم بها من غيرها ويشهد غيرها منها فقد كان بعضهم يقول كل آية لا أتفهمها
ولا يكون قلبي فيها لم أعتد بها ثوابا وكان بعض السلف إذا قرأ السورة ولم يكن
قلبه فيها أعادها ثانية فإذا أتم تسبيح وتكبير سبح وكبر وإن مر بدعاء واستغفار
دعا واستغفر وإن مر بمخوف ومرجو استعاذ وسأل وذلك معنى قوله عز وجل
يتلونه حق تلاوته وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلاوته وعلى
هذا المعنى ما روي في الخبر من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة
ابن أم عبد أي على معنى تلاوته لأنه كان يقرأ بقلب شهيد وسمع عتيد ويوجه به
وكان يتلو القرآن على معاني الكلام وعلى شهادة وصف المتكلم الوعيد منه
بالتخويف والوعد بالتشويق والوعظ بالتخويف والإنذار بالتشديد والتبشير
بالترغيب لأنه قد كان عالما بصفات المتكلم وأخبر النبي المتكلم لمثل هذا العبد أحسن
الناس صوتا بالقرآن كما جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من إذا قرأ
رأيت أنه يخشى الله ومن هذا قيل إذا قرأت القرآن فابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا
وقيل هذا القرآن نزل بحزن أي إذا قرأتموه فتحازنوا فيه إن القرآن كما فيه من التدبير
والوعيد والوثائق والعهود يوجب البكاء والحزن فإن لم تحزنوا وجدا ولم تبكوا فقيلا
فتباكوا وتحازنوا العطا لأجل التصديق ولا قراره فيرديهم إلى التحازن في التلاوة وورد
والتباكي يجتمع هم العبد في المتلو وينشر الكلام عسى أن يكون قلبه بمعناه ويكون
التباكي والتحزن سببا لجمع همه وفراغ قلبه لأن المتباكي الصادق مجتمع الهم فيما
يبكيه والحزين حاضر القلب مجموع الفكر مشغول عن سوى ما يبكيه **ومن ذلك ما**
روينا عن ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك
عين أحدكم فليبك قلبه فبكاء القلب حزنه وخشيته فإن لم تبكوا ببكاء العلماء
عن الفهم فليحزن قلوبكم على فقد البكاء وليخش كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم
وقد روينا عن غزاة التقسيم من معنى قوله تعالى وإن من الحجارة لما يتفجر منه
الأنهار قال هي العين الكثيرة البكاء وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال هي
العين القليلة البكاء وإن منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء
من غير دموع عيني

قال ثابت البناني

رأيتنا

رأيتنا في النوم كأني أقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فلما فرغت قال
هذه القراءة فأين البكاء. وكان الحسن يقول والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن
يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته و
بطالته والناس في التلاوة على ثلاث مقامات أعلاهم من شهد أوصاف المتكلم في
كلامه وعرف أخلاقه بمعاني خطابه وهذا مقام العارفين من المقربين ومنهم من يشهد
ربه تعالى يناجيه بألطافه ويخاطبه بإنعامه وإحسانه فمقام هذا الحياء والتعظيم وحاله
الإصغاء والفهم وهذا للأبرار من أصحاب اليمين ومنهم من يرى أنه يناجي ربه عز وجل
فمقامه السؤال والتملق وحاله الطلب والتعلق وهذا للمتقين والمريدين وينبغي
للعبد أن يشهد في التلاوة أن مولاه يخاطبه بالكلام لأنه يسمعه فيتكلم بكلامه
وليس للعبد في كلامه كلام وإنما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه
بحكم ربه عز وجل هذا العبد وكان له كما كان الشجرة وجهة لموسى عليه السلام
كلمه الله منها ويقال إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل
قاف وإن الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل
وهو ملك اللوح المحفوظ فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لأن الله عز وجل
أطاقه ذلك لما استعمله به

وقال جعفر بن محمد الصادق

والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه
عن شيء لحقه في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت
أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته تعالى وكذلك
الخصوص يرجون لآيات يقلبونها على قلوبهم ويتوقفون عندها في مشاهدتهم بين من يشهدونهم
حتى يستغرق فهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فإن فقدت مشاهدة التالي عن هذا المقام
فليشهد أنه يناجيه بكلامه ويتملقه بمناجاته فإن الله عز وجل إنما خاطبه بلسانه
وكلمه بحكمته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه له حكمة
منه ورحمة إذ لو تكلم الجبار عز وجل بوصفه الذي يدركه سمعه لم يثبت لكلامه عرش ولا
ثرى وليلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات أنواره فحجبها لحكمه في غيب علمه
عن العقول وستره بصنع قدرته عن القلوب وأطاق للقلوب علوم عرفها وأشهد
العقول عرف يعرفونه بلطفه وحنانه ورحمته وإحسانه **وبلغنا** في الأخبار
السالفة أن وليا من أولياء الله تعالى من الصديقين انتعش في الفترة التي قبله من
الجبابرة يدعو إلى التوحيد وإلى شريعة الأنبياء بما أظهره الله على لسانه من معاني
التوحيد فجعل الصديق يحييه عندها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضرب الأمثال

Copyright © King Saud University